

هلا شقت عن قلبه

خطورة الحكم على الناس بلا بينة مع بيان خطر التشدد

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وبعد؛

مما لا شك فيه أن الإسلام لا يفتش في نوايا الناس، ولا يبحث في سرائرهم، ولا يعاملهم بما يخفون، وإنما يعاملهم بما يظهرون، حتى وإن كان ما يبيديه عكس ما يخفيه!

لنا الظاهر والله يتولى السرائر:

في آية عظيمة شاملة جامعة، يقول الحق ﷻ ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (المائدة آية 99) وعليه فإن مهمة الأنبياء والمرسلين إبلاغ كلمات الله وشرعه، وتوصيله إلى عبادة قال الحق ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة المائدة: 67] إن الذي يحاسب على المقاصد والنيات وخطرات القلوب هو الله تعالى ولذا فإن أهل القبلة كلهم موحدون، ولا ينبغي على المسلم الفطن أن يفتش عن النوايا، وأن يكفر أو يفسق بلا بينة أو قرينة! ثم أن هذا ليس من شأنه ولا من مهامه، وإنما هي وظيفة أكلها الله إلى أهل التخصص، وإلى من خصهم بهذا الأمر من أولى الحكم والنهي!

وفي القرآن يقول الحق ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ

كَثِيرَةٌ ۖ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾]
سورة النساء: 94[تأكدوا- أيها المؤمنون- وثبتوا في كل أحكامكم وأفعالكم، ولا تقولوا
لمن أظهر الانقياد لدعوتكم ودينكم فنطق بالشهادتين أو حياكم بتحية الإسلام. لا تقولوا
له لست مؤمنا حقا وإنما قلت ما قلت بلسانك فقط لتأمن القتل. بل الواجب عليكم أن
تقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه فإن علم السرائر والبواطن إنما هو لله- تعالى-
وحده.

وجملة لَسْتُ مُؤْمِنًا مقول لقوله لا تَقُولُوا: أي لا تنفوا عنه الإيمان وهو يظهره
أمامكم وفي هذا من الفقه- كما يقول القرطبي- باب عظيم، وهو أن الأحكام تناط بالمظان
والظواهر لا على القطع واطلاع السرائر.

ولقد كان عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- ينهى عن قتل من أعلن الاستسلام
ويحذر من يقتله بأنه سيقته به، وقد أرسل بذلك إلى قواد جيوشه لأن الذين يقتلون من
يطلب الأمان طمعا في ماله لا يكون جهادهم خالصا لله، ولا تكون أعمالهم محل رضا
الله- تعالى- ولذا قال- سبحانه:-

تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَايِمٌ كَثِيرَةٌ ۖ وَالْاِبْتِغَاءُ: الطلب الشديد والرغبة
الملحة

وفي قول الحق ﷻ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ
اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا
هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ (الممتحنة 10) لطيفة جميلة ذكر هذه الجملة الاعتراضية (الله أعلم
بإيمانهن) هو بيان أنه يكفي لنا العلم الظاهر، أمّا العلم الحقيقي الذي تطمئن به النفس

وهو الإحاطة بجليّة الأمر، ومعرفة حقيقة الإيمان فإنّ ذلك مما استأثر به علامّ الغيوب، فنحن لنا الظاهر، والله يتولّى السرائر فسبحانه من إله عليم، يعلم السرّ وأخفى.

ولذا سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْتَحِنُ النِّسَاءَ قَالَ كَانَ إِذَا أَتَتْهُ امْرَأَةٌ لَتَسْلَمَ حَلْفَهَا بِاللَّهِ مَا خَرَجْتَ لِبُغْضِ زَوْجٍ بِاللَّهِ مَا خَرَجْتَ إِلَّا حَبًا لِاِكْتِسَابِ دُنْيَا وَبِاللَّهِ مَا خَرَجْتَ رَغْبَةً عَنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَبِاللَّهِ مَا خَرَجْتَ إِلَّا حَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ (رواه الترمذي)

فبظاهر ما يبيده لك المسلم؛ نتمسك ولا نتجاوز ذلك إلا ما خفي عنا علمه، وينبغي على ذلك حملة على السلامة، وعدم إساءة الظن به، وعدم رميه بغير بينة وما يجب على المسلم تجاه أخيه الستر عليه، ومناصحته بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن، وأما السعي في التوصل إلى حقيقة حاله فلست مأموراً بذلك، بل ربما وقعت في الإثم بالوقوع في غيبته وسوء الظن به وربما التجسس عليه وغير ذلك من الأمور المنهي عنها.

واختم هذا المطلب بقول النبي ﷺ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (صحيح البخاري)

آفة بعض أدعياء الدين التشدد

هناك فئة من الناس جعلت من نفسها وكلاء عن الله ﷻ يوزعون صكوك السلامة والنجاة على من أحبوا، ومنعوها عن من بغضوا وكرهوا! وقد شدد بعض القوم على أنفسهم وعلى غيرهم، يتمثلون فكر ونهج بني إسرائيل لما تشددوا وتكلفوا فشدد الله عليهم، يأمر أن يذبحوا بقرة، لكن لما كان آفة البعض التشدد وجعل التفاصيل الفرعية

قضايا جوهريّة. وتخيل أن التشدد والتعنّت هو الجوهر، أو بدعوى كسب بعض الوقت، فيأمرهم الحق في أمر غاية في اليسر أن يذبحوا بقرة، أي بقرة لكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، والمتأمل في وصف البقرة كما جاء في الآيات يرى الصعوبة والتشدد في اختيار أوصافها. . كأن الحق تبارك وتعالى يريد أن يجازيهم على أعمالهم. . ولم يجد بنو إسرائيل إلا بقرة واحدة تنطبق عليها هذه المواصفات فقالوا {الآن جئت بالحق} كأن ما قاله موسى قبل ذلك كان خارجا عن نطاق الحق. وذبحوا البقرة ولكن عن كره منهم. . لأنهم كانوا حريصين على ألا يذبحوها، حرصهم على عدم تنفيذ المنهج. هم يريدون أن يماطلوا الله سبحانه وتعالى. . والله يقول لنا أن سمة المؤمنين أن يسارعوا إلى تنفيذ تكليفه. . وقرأ قوله تعالى: {وسارعوا إلى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133]

وقد بدت مظاهر التشدد والتطرف في العديد من القضايا الشكلية التي جعل منها بعض الغلاة قضايا جوهريّة، من ذلك :

الجهر بالبسملة، وهي قضية فرعية خلافية، منهم من جهر بها ومنهم من أسرها، والأمر فيه خلاف وأوسع من التشدد والتعنّت، وقد ورد في كتب التراث مثل الكامل في التاريخ لابن الأثير وغيره أن بعض الغلاة توجهوا إلى أحد مساجد الشافعية في بغداد، فنهوا المصلين وإمامهم عن الجهر بالبسملة، والترجيع بالأذان، والقنوت في الفجر، فبادرهم إمام الجامع، وأخرج مصحفا وقال لجموع الحنابلة فيما يخص البسملة: «أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها»! وهذا الذي أفتى بمنع الشافعية وجل أهل بغداد في بعض السنوات من حضور الجمع والجماعات كونهم أشاعرة!

إن بين التكلف والتطرف فرقاً كبيراً لا يخفى على من تأمل في طبيعة الاسلام وهديه، وللشيطان بين هذا وذاك جولات يحاول أن يلبس فيها على المسلم الطريق ، فليستعن المسلم على ذلك بقبس من العلم يقيه من تلبيس الشياطين، وليس من شأن المسلم أن يحقر أخاه يقول الحبيب المصطفى ﷺ لا تحاسدوا. ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض. وكونوا، عباد الله! إخوانا. المسلم أخو المسلم. لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ههنا" ويشير إلى صدره ثلاث مرات "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام. دمه وماله وعرضه (صحيح مسلم)

وقد كان النبي ﷺ يفعل بعض النوافل ثم يتركها حتى لا يعتقد البعض فرضيتها، من ذلك صلاة الضحى فقد فعلها النبي ﷺ في بعض الأوقات ثم يتركها في بعضها مخافة أن يعتقد الناس وجوبها أو خشية أن يفرض عليهم ، كما ترك المواظبة على التراويح لهذا المعنى

لذا قال الأصوليون "بحسب عِظَمِ المفسدة يكون الاتساع والتشدد في سد

ذريعتها، وأدلتها.

بمعنى لو تساهل البعض في تكفير الآخرين أو تفسقيهم وتبديعهم لمجرد شبهات صدرت عن بعضهم، أو حتى لو تيقن من كبيرة ارتكبتها البعض وبني على ذلك فكرة عن أخية، نقول له أن ربما نتج عن هذا الظن وترتب عليه مفسد عظيمة، كوقوع طلاق أو قتل أو هلاك، حينها يتدخل الشرع بتلك القاعدة العظيمة ويبني على ما سبق قاعدة أخرى تقول: **درء المفسد مقدم على جلب المصالح** : فالشريعة الإسلامية مبنية على

تحقيق مصالح العباد ودفع المفساد عنهم. والقاعدة المذكورة هي تطبيق عملي لهذا المبدأ العظيم. فإذا كانت المفسدة عظيمة، فإن درأها يكون أولى وأوجب.

من ذلك مثلاً قوله ﷻ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108]. النهي عن سب آلهة المشركين هنا ليس لأن سبها محرم في ذاته، بل لأنه قد يؤدي إلى مفسدة أعظم وهي سبهم لله تعالى.

من بعض مخاطر الحكم بالنص الحاكمية نموذجاً

تدور فكرة الحاكمية حول تفسير مغلوط لقول الله ﷻ [وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ¹] وقد بنت الحاكمية فكرهم المغلوط على فهم غير سليم، وغير منضبط، ففهموا أن كل حكم يخالف فهمهم هو عين الخروج عن الحكم الله، وجعلوا الأمة كلها تحت رحمة فهمهم للنص!

وأقول لفهم تلك الآية وغيرها من الآيات لا بد بداية من معرفة سبب النزول، ومعني الكفر المراد في الآية، ثم بيان مفهوم الحاكمية، من حيث الدلالة التكوينية والدلالة التشريعية.

أما عن سبب النزول فقد تحدث أهل التفسير وذكروا تأويلات عدة، عن ابن عباس قال: إن الله عز وجل أنزل: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44] و {فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: 45]، و {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة: 47]. قال ابن عباس: أنزلها الله عز وجل في الطائفتين من اليهود، كانت إحداهما

قد قهرت الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتل قتلته العزيرة من الذليلة فديته خمسون وسقاً، وكل قتل قتلته الذليلة من العزيرة فديته مائة وسق، فكانوا

على ذلك حتى قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَذَلَّتِ الطَّائِفَتَانِ كِتَاهُمَا لِمَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 لم يظهر ولم يُوطِّئهما عليه، وهو في الصلح، فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت
 العزيزة إلى الذليلة: أن ابعثوا إلينا بمائة وسق. فقالت الذليلة: وهل كان في حَيِّين قَطُّ
 دينُهُما واحد ونسبُهُما واحد وبلدُهُما واحد، دِيَّةُ بعضهم نصفُ دية بعض؟ إنما أعطيناكم
 هذا ضَمِيمًا منكم لنا وفَرَقًا منكم، فأما إذا قَدِمَ مُحَمَّدٌ ﷺ فلا نعطيكم، فكادت الحربُ تَهِيْجُ
 بينهما، فارتَضَوْا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيزة فقال: والله ما
 مُحَمَّدٌ بِمُعْطِيكُمْ منهم ضعف ما يعطيهم منكم، ولقد صدقوا، ما أعطونا هذا إلا ضَمِيمًا
 مِنَّا وقَهْرًا لهم، فَدَسُّوا إلى رسول الله ﷺ نَاسًا من المنافقين لِيُخْبِرُوا لهم رأيَ رسول الله
 ﷺ، فلما جاء رسول الله ﷺ أخبر الله رسول الله ﷺ بأمرهم كُلِّهِ وما أرادوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:
 {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ.} إلى قوله: {.. الْفَاسِقُونَ} [المائدة:
 41 - 47] ففيهما والله - أنزل، وإياهما عَنِ اللَّهِ عز وجل⁽²⁾

وفي رواية لابن عباس رضي الله عنه " كَانَ بَنُو النَّضِيرِ إِذَا قَتَلُوا قَتِيلًا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ،
 أَدَّوْا إِلَيْهِمْ نِصْفَ الدِّيَّةِ، وَإِذَا قَتَلَ بَنُو قُرَيْظَةَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ قَتِيلًا أَدَّوْا إِلَيْهِمْ الدِّيَّةَ كَامِلَةً،
 فَسَوَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمُ الدِّيَّةَ⁽³⁾

إذا فهذا الحكم خاص ببعض طوائف اليهود الذين بدلوا شرع الله، وخالفوا عدل
 سيدنا رسول الله ﷺ، فسرى الله على قلب حبيبه ألا يحزن لقولهم ولا فعلهم، وينطبق
 هذا على كل من بدل كلام الله، وفسره طبقا لمعاييره وهوواه!

⁽²⁾ أحمد بن محمد بن حنبل (164 - 241 هـ)، (المسند) المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط 1، 1416 هـ - 1995 م،

ج3، ص18، رقم الحديث 2212

⁽³⁾ المسند، ج3، ص442، رقم الحديث 3431.

وقد جاء نفر من الخوارج لأبي مجلز⁽⁴⁾ يحاجونه حول تلك الآية، فقالوا: يا أبا مجلز، أرايت قول الله: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، أحق هو؟ قال: نعم! قالوا: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)، أحق هو؟ قال: نعم! قالوا: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)، أحق هو؟ قال: نعم! قال فقالوا: يا أبا مجلز، فيحكم هؤلاء بما أنزل الله؟ قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون، وإليه يدعون، فإن هم تركوا شيئاً منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنباً! فقالوا: لا والله، ولكنك تفرق! قال: أنتم أولى بهذا مني! لا أرى، وإنكم أنتم ترون هذا ولا تحرّجون، ولكنها أنزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك⁽⁵⁾ فهؤلاء يقولون بمقالة سائر الخوارج في التحكيم، وفي تكفير علي رضي الله عنه إذ حكم الحكمين، وأن علياً لم يحكم بما أنزل الله! ومثلهم الحرورية والجدال والمناظرة الشهيرة بينهم وبين حبر الأمة، والتي تنبئ عن منهجهم المعوج، وفكرهم السقيم في كل زمان ومكان!

واختم بهذا الحديث الماتع

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا غَشِيَهُ بِالرُّمْحِ، قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، فَقَتَلَهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَذْنَبْتُ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: حَمَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا غَشِيَهُ بِالرُّمْحِ قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مُتَعَوِّذٌ فَقَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَسْتَبِينَ

(4) لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، أبو مجلز - بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام، بعدها زاي - مشهور بكنيته، يروى عن ابن عباس وأنس وجندب بن عبد الله وأم سلمة وغيرهم، روى عنه قتادة وسليمان التيمي وعاصم الأخول وغيرهم، وهو ثقة روى له الجماعة، ووثقه أهل الجرح والتعديل واختلف في سنة وفاته قيل 100 هـ، وقيل 101، وقيل 106، وقيل 109. للمزيد أنظر (ابن منجويه)، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن منجويه (ت 428هـ)، رجال صحيح مسلم المحقق: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، ط 1، 1407هـ / 1987م، ج2، ص330.

(5) تفسير الطبري، ج8، ص457.

لَكَ؟» قَالَ: وَيَسْتَبِينُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قَدْ قَالَ لَكَ بِلِسَانِهِ فَلَمْ تُصَدِّقْهُ عَلَى مَا قَالَ فِي قَلْبِهِ» قَالَ: فَمَاتَ الرَّجُلُ فَدَفَنَاهُ، فَأَصْبَحَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَأَمَرْنَا غِلْمَانَنَا فَحَرَسُوهُ، فَأَصْبَحَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَقُلْنَا غَقَلُوا فَحَرَسْنَاهُ، فَأَصْبَحَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهَا تُقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ تَعْظِيمَ الدِّمِ» ثُمَّ قَالَ: «ادْهَبُوا بِهِ إِلَى سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، فَانْضِدُّوا عَلَيْهِ مِنَ الْحِجَارَةِ» فَقَعَلْنَا (معجم الطبراني)

وهذا مما يحتج في قبول توبة الزنديق إذا أظهر الإسلام، لأن الله تعالى لم يفرق بين الزنديق وغيره متى أظهر الإسلام. بل وفي توبة المشرك، وقول الله إن الله يغفر الذنوب جميعا، فيها مغفرة لكل أنواع الذنوب.

إن أزمنا تلك الأحادية والجزئية التي خلقت عند البعض روح التعصب والتشردم فبات لا يرى الأمور إلا من منظوره، رؤية تقتصر على زاوية واحدة وتعتبر هذه الزاوية هي الحقيقة المطلقة الوحيدة الممكنة! وهذا هو الضلال المبين والشر المستطير، فكل نظرية وقول يحتمل الصواب والخطأ، وفهم النصوص يحتاج لضوابط وأسس سبق وأشرنا إليها مرارا وتكرارا.

وغالبًا ما تكون النظرة الأحادية غير موضوعية ومنحازة، حيث تتجاهل الأدلة أو التفسيرات التي تتعارض مع وجهة النظر المتبناة، وتفتح بابا من التعصب والتحزب والتقيد، وقتل الإبداع، والتوقف بالنصوص عند زمن معين، وإغلاق باب القياس والنظر والاجتهاد.

ويقول الحبيب المصطفى ﷺ في قاعدة أصولية عظيمة لما شكك البعض في أمانة سيدنا رسول الله ﷺ فقال: **أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا**

وَمَسَاءً، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِئُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، مَخْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، فَقَالَ: وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟! قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُضْرِبُ عُنُقَهُ فَقَالَ: لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي: قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيَّيْ لَمْ أَوْمَرَ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ، قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُقَفِّ فَقَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَثْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِرُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ (صحيح مسلم)

وهذا حديث شامل ماتع يحتاج إلى لقاء مستقل، لكن ما نأخذه منه أن الناس لا يزالون يتحدثون حتى على أنبياء الله، وهذا الرجل ذو الخويصرة خبيث النفس، سقيم الفهم يرى أن رسول الله ﷺ لم يعدل، وقاس بنظره وفكره، ولما هم خالد رضي الله عنه أن يضرب عنقه نهاه النبي ﷺ ولعل من أهم الدروس والعبر عدم جواز اتهام النوايا والحكم على القلوب، كما قال النبي ﷺ: "إِيَّيْ لَمْ أَوْمَرَ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ" مع التحذير من الغلو والشطط.

أما عن مخاطر التشدد سريعا أوجزها فيما يلي:

- 1- العزلة ورفض الآخر، إن من أكبر مخاطر التشدد أن ينعزل صاحب تلك الأفكار عن المجتمع متهما الجميع بالخطأ وأنه هو الوحيد الصواب المطلق!
- 2- ضيق الأفق وقتل الإبداع، إن من آفات التقليد والمحاكاة والتعصب لفكرة واحدة غلق أبواب الاجتهاد والقياس
- 3- الجمود والتخلف عن الركب، ولعل هذا قد بدا واضحا عندما حصر البعض الدين والتدين في مجرد أمور فرعية سطحية خلافية، وحولنا تلك الخلافات إلى

مواضيع يحارب الناس بعضهم البعض من أجلها، بل ربما خاصم واختلف وقاطع رحمه وأهله وأصدقائه من أجل فكرة يؤمن بها، ولا يرى غيرها، أو من أجل جماعة آمن بها وبطرحها، حتى لو أدى ذلك إلى قطع رحمه وأهله وأحبابه

4- زيادة أواصر الخلاف والفرقة والنزاع، بل بتنا نرى الآن ما يعرف بالتراس المشايخ! وهي ظاهر غاية في الخطورة، تخدم أعداء الدين والوطن، تفرق ولا تجمع وتخرّب ولا تهدم!

5- نشر العنف والإرهاب وتهديد أمن وسلم المجتمع، وقد رأينا ذلك في الماضي القريب من تبني بعض الأفكار الانتقامية، وتصوير المجتمع على أنه مجتمع جاهلي، وأنه لا بد من تحريره من براثن التخلف والجمود ومظاهر الوثنية، وقامت على أكتاف تلك الأفكار مصنفات وأفكار دفع ثمنها العديد من المفكرين ولا زلنا نعاني شبح هذا التفكير الظلامي حتى الآن!

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن يؤلف بين قلوبنا.

جمع وترتيب د محمد سالم الصعيدي الشافعي الأزهري

الأستاذ المشارك بالأزهر الأنور – وخادم سيرة سيدنا رسول الله ﷺ